التصوير السينمائي للإقطاعيين في السينما المصرية الكلاسيكية
دراسة وصفية تحليلية

The image of the feudal lords in classical Egyptian cinema
An analytical descriptive study

منيـر طبـي*
جامعة العربي التبسي، تبسة (الجزائر)، mounir.tabbi@univ-tebessa.dz

تاريخ الاستلام: 2021/09/10 تاريخ القبول: 2021/10/14 تاريخ النشر: 2021/12/26

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة التعرف على صورة الإقطاعي في السينما المصرية الكلاسيكية من حيث الشكل والمحتوى، حيث تنتمي هذه الدراسة إلى الدراسات الوصفية التي تعتمد على المنهج الوصفي التحليلي، مع استخدام أداة تحليل المحتوى للوصول لذلك الهدف، وتحدد مجتمع البحث في السينما المصرية الكلاسيكية، وتم اختيار عينة متمثلة في فيلم "الأرض" للمخرج "يوسف شاهين" أنموذجا، لمدى انتشار هذا الفيلم وتقييمه ضمن أقوى الأفلام في تاريخ السينما المصرية.

وقد خرجت هذه الدراسة بنتائج عدة أهمها: ظهور صورة الرجل الإقطاعي بشكل سلبي إلى حد كبير، وهو ما ساهم في تبيان مدى شجاعة وطمع الإقطاعيين في علاقتهم بالفلاحين.

كلمات مفتاحية: *السينما؛ السينما المصرية، صورة، الفلاحين، الإقطاعي.*

Abstract:

This study aims to try to identify the image of feudalism in classical Arab cinema in terms of form and content, as this study belongs to descriptive studies that depend on the descriptive analytical approach, with the use of the content analysis tool to reach that goal, and defines the research community in classical Egyptian cinema. Selecting a sample represented in the film "The Land" by director "Youssef Shaheen" as a model, for the extent of the spread of this film and its evaluation among the strongest films in the history of Egyptian cinema.

This study came out with several results, the most important of which are: The appearance of the feudal man's image in a negative way.

Keywords *: Cinema; Egyptian cinema; Image; Peasants; Feudal lord.*

* المؤلف المرسل: منيـر طبي، الإيميل: **mounir.tabbi@univ-tebessa.dz**

– مقدمة:

إن الحديث عن أدوار ووظائف وسائل الإعلام في المجتمع حديث واسع ومتشعب، وسع وتشعب هذه الأدوار والوظائف، حيث تتنوع هذه الأخيرة إلى الإخبار والتعليم والإعلان والترفيه...، وتأتي السينما على رأس وسائل الإعلام في القيام بهذه الوظائف والأدوار، حيث ومن خلال مختلف الأفلام السينمائية تقدم السينما العديد من المواضيع والقضايا المجتمعية في أسلوب ساحر وممتع، حيث تعمل السينما من خلال مميزاتها الاتصالية (الصورة والصوت والإيحاء والتقمص...)، في التأثير في الأفراد والمجتمعات، فتعمل على تشكيل وصياغة الصورة الذهنية ثم النمطية حول الشخصيات والجماعات والشعوب والأمم (مثل صورة العرب والمسلمين في السينما الأجنبية)، وبذلك تعد السينما كغيرها من وسائل الإعلام سلاح ذو حدين، يمكن أن يستعمل لخير البشرية كما يمكن أن يستعمل لشرها.

1. إشكالية الدراسة

كثيرا ما تساهم السينما في تكوين الصور الذهنية والنمطية حول مختلف مناحي الحياة (أشخاص، جماعات، أعراق، شعوب، موضوعات، قضايا...)، وتاريخ السينما الأجنبية على غرار العربية والمصرية بالتحديد حافل بهذا الشأن، ومن أهم القضايا والموضوعات التي كانت محل تصوير سينمائي ساهم في بناء عدة صور ذهنية ثم نمطية هو موضوع الإقطاعية في مصر، فالسينما المصرية وخاصة الكلاسيكية منها قدمت العديد من الأفلام السينمائية التي تحدثت عن هذا الموضوع، وحاولت تصوير واقع الإقطاعية في مصر وتأثيرها على الحياة المصرية خاصة في الريف، على اعتبار أن الإقطاعية تأسست على اقتطاع الأراضي وتسخير الفلاحين لخدمة الأرض التي يمتلكها الإقطاعيون، ومن هنا جاءت إشكالية الدراسة في البحث عن طريقة تصوير الرجل الإقطاعي في السينما المصرية الكلاسيكية، وعلاقته بمحيطه القريب والبعيد، من خلال الإجابة عن السؤال الرئيسي التالي: كيف ظهرت صورة الإقطاعي في السينما المصرية الكلاسيكية من خلال فيلم "الأرض" للمخرج "يوسف شاهين" أنموذجا من حيث الشكل والمحتوى؟ وللإجابة عن التساؤل الرئيسي للبحث قدم الباحث تساؤلات فرعية وهي:

- ما هي أهم الموضوعات الاجتماعية التي عرضها فيلم "الأرض" فيم يخص شخصية الإقطاعي؟
- ما هي طبيعة الأدوار الاجتماعية للإقطاعي التي قدمتها السينما المصرية من خلال فيلم "الأرض" أنموذجا؟

- ما طبيعة القيم التي ظهرت على الإقطاعي كما قدمها فيلم "الأرض"؟
- ما طبيعة سمات شخصية الإقطاعي التي قدمها فيلم "الأرض"؟

2. أهمية الدراسة

تظهر أهمية هذه الدراسة في ثلاث عناصر أساسية: أولهما أهمية استخدام تحليل المحتوى في السينما، حيث أن الكثير من الدراسات التي تستخدم تحليل المحتوى تتجه في الغالب إلى الدراما التلفزيونية وليس الأفلام السينمائية من جهة (يظهر ذلك جليا في عنصر الدراسات السابقة)، ومن جهة أخرى نجد أن الدراسات التي تقوم بتحليل الأفلام السينمائية تتجه في الغالب في تحليلها إلى استخدام المنهج السيميولوجي وليس تحليل المحتوى، ورغم أهمية هذا المنهج إلا أن الباحث يرى أنه يبقى محدودا في هذا المجال، لأنه يتركز أساسا على الصورة الثابتة في عملية التحليل (مثل الإعلانات)، بينما تحليل المحتوى يهتم بالصورة المتحركة وهو ما يقدم عدة مؤشرات تساهم في عملية التحليل والخروج بنتائج وظيفية، وفي هذه الدراسة اعتمدنا على أداة تحليل المحتوى لمحاولة استخراج واستنباط الأبعاد الخفية في الفيلم عينة الدراسة، وكيف تم تصوير الرجل الإقطاعي في السينما المصرية الكلاسيكية، أما العنصر الثاني في أهمية هذه الدراسة فيظهر في الاتجاه نحو تحليل أهم الإنتاجات السينمائية المصرية الكلاسيكية، حيث يعتبر الفيلم عينة الدراسة "الأرض" من أهم الأفلام في السينما المصرية الكلاسيكية لمجموعة من الاعتبارات، أولها مخرج الفيلم "يوسف شاهين" الذي يعتبر أحد قامات الإخراج في مصر والوطن العربي، وثانيها الممثلين الذين شاركوا في هذا الفيلم (محمود المليجي، عزت العلايلي...)، وثالثها موضوع الفيلم الذي يحكي عن الإقطاعية في مصر في أحد أهم فتراتها التاريخية، أما العنصر الثالث في الأهمية فيتمثل في الطلبة والدارسين والباحثين الذين من الممكن أن يستفيدوا من هذه الدراسة لقلة الدراسات المتعلقة بتحليل محتوى الأفلام السينمائية.

3. أهداف الدراسة

تتلخص أهداف الدراسة فيم يلي:

- التعرف على أهم الموضوعات الاجتماعية التي عرضها فيلم "الأرض" فيما يخص شخصية الإقطاعي.
- الكشف عن طبيعة الأدوار الاجتماعية للإقطاعي التي قدمتها السينما المصرية من خلال فيلم "الأرض" أنموذجا.

- معرفة طبيعة القيم التي ظهرت على الإقطاعي كما قدمها فيلم "الأرض".
- تحديد طبيعة سمات شخصية الإقطاعي التي قدمها فيلم "الأرض".

4. مفاهيم الدراسة

1.4 الإقطاعي: هو المالك الذي يملك الأرض على نظام الإقطاع ويشغل الناس كالعبيد.[1] والإقطاع هو نظام من العلاقات الاقتصادية الزراعية، حيث تكون وسيلة الإنتاج الرئيسية وهي الأرض، ملك لشخص واحد ويعمل الفلاحون في أرض هذا الشخص، الذي يسمى الإقطاعي.[2]

2.4 صورة الإقطاعي: هي تلك الصورة أو القضايا التي تنشأ عن المواقف المتعارضة الوصف من الإقطاعي، ومن دوره الاجتماعي والإنساني والتفاعلي مع الآخر، أو العلاقة معه والتعامل مع وجوده وطبيعة دوره سلبا وإيجابا.[3]

5. الدراسات السابقة والمشابهة

1.5 دراسة محمد عبد البديع السيد (2017) بعنوان "دور الدراما في تكوين الصورة الذهنية للمتدين لدى الشباب المصري دراسة تحليلية"[4]: هدفت الدراسة إلى التعرف على معايير الصورة الذهنية للمتدين في الدراما المصرية، والتعرف على مدى مقاربة صورة المتدين في الدراما المصرية للواقع الاجتماعي المعاش، وتعد هذه الدراسة من نوع البحوث الوصفية التي استخدمت أداة تحليل المحتوى (عينة من ستة أفلام وستة مسلسلات مصرية)، وقد خرجت هذه الدراسة بعدة نتائج أهمها: اتفاق نتائج هذه الدراسة مع نتائج بعض الدراسات السابقة، في أن الصورة التي تقدمها الدراما المصرية عن المتدين هي صورة إيجابية حيث ركزت الدراما على الأدوار والسمات الإيجابية للمتدين.

2.5 دراسة عزة كامل ونولة درويش (2003) بعنوان "أشكال تنميط صور النساء والرجال في الدراما التليفزيونية المقدمة خلل شهر رمضان 1424هـ (2003)"[5]: هدفت هذه الدراسة إلى التعرف عن أشكال التمييز ضد المرأة التي تقدم من خلل المسلسلات التليفزيونية والقيم المرتبطة بهذا التمييز، والتعرف عن النماذج النمطية التي تقدم عن المرأة والرجل خلال هذه المسلسلات، وعلاقة هذه النماذج بالثقافة والأيديولوجيا السائدة، وتحديد الأدوار التي تقدمها الدراما التليفزيونية للرجل والمرأة وكيف يتم تقسيم الأدوار بينهما، وتعد هذه الدراسة من نوع البحوث الوصفية التي استخدمت أداة

تحليل المحتوى (عينة من خمسة مسلسلات اختيرت من القنوات الرضية المصرية)، وقد خرجت هذه الدراسة بعدة نتائج أهمها: اشتركت أن جميع المسلسلات المبحوثة اشتركت في تقديم صور نمطية تقليدية طالما تم استهلاكها في الدراما التليفزيونية المصرية، وينطبق هذا الأمر على الأشكال الدرامية المختلفة، وهناك ما يشير من المشاهدة العابرة أن التنميط سمة غالبة في المسلسلات والأفلام، كما لم ينجو أي من الرجال والنساء من التنميط، فقد حظيت الوجوه النسائية بنصيب الأسد، هذا بالإضافة إلى أشكال متنوعة من التمييز والعنف، إلى جانب دعوة الجميع (من كتاب قصة وسيناريو، ومخرجين، وممثلين، ورقباء، ومنتجين) لوقفة مع الذات، وربما لإعادة مشاهدة الأعمال التي قدموها في ضوء تحليل هذه الدراسة.

6. الإجراءات الميدانية للدراسة

1.6 نوع الدراسة والمنهج المستخدم

تنتمي هذه الدراسة إلى الدراسات الوصفية التي تعتمد على المنهج الوصفي التحليلي، وفي الدراسات الإعلامية تستخدم الدراسات الوصفية لدراسة الظاهرة من حيث أشكالها وخصائصها كما هي، وتعمل على توصيف الظاهرة من كافة جوانبها، وذلك بهدف استنتاج للحلول وتحديد الأسباب والعلاقات التي أدت لحدوث هذه الظاهرة وللتنبؤ بمستقبلها.[6] وفي هذه الدراسة حاول الباحث وصف وتفسير صورة الإقطاعي في السينما المصرية الكلاسيكية من خلال فيلم "الأرض" أنموذجا من حيث الشكل والمحتوى.

2.6 مجتمع وعينة الدراسة

يعرف مجتمع البحث على أنه جميع الأفراد أو الأشياء أو الاشخاص الذين يشكلون موضوع مشكلة البحث، وهو جميع العناصر ذات العلاقة بمشكلة الدراسة التي يسعى الباحث إلى أن يعمم عليها نتائج الدراسة.[7] وفي هذه الدراسة يتحدد مجتمع البحث في السينما المصرية الكلاسيكية. وتعرف العينة على أنها مجموعة محدودة من الأفراد يختارهم الباحث من مجموعة أكبر (مجتمع الدراسة) باستخدام طريقة اختيار محددة مسبقا.[8] وفي دراستنا هذه تم اختيار عينة قصدية متمثلة في فيلم "الأرض" للمخرج "يوسف شاهين"، لوجود كوكبة من نجوم الدراما والسينما المصرية في هذا الفيلم من جهة، ولمدى انتشار هذا الفيلم وجماهيريته وتقييمه كأحد أقوى الأفلام في تاريخ السينما المصرية.

3.6 أدوات جمع البيانات

تم اختيار أداة تحليل المحتوى في هذا البحث لأنها تناسب أهداف الدراسة، والتي تسعى لمعرفة صورة الإقطاعي في السينما المصرية الكلاسيكية من خلال فيلم "الأرض" للمخرج "يوسف شاهين". ويعرف تحليل المحتوى على أنه رد محتوى الشيء أو الفكرة، أو الخطاب المحلل إلى عناصره الأولية البسيطة، بمعنى أنها تخالف المركب المحلل في خصائصه، ويتيح تحليل المضمون المعالجة المنهجية للمعلومات والشهادات التي تنطوي على درجة معينة من العمق والتعقيد، كما يسمح أكثر من اي منهج آخر بتلبية متطلبات التشدد المنهجي والعمق الإبداعي بشكل متناغم.[9] وقد تم تحديد وحدات العد وفئات القياس في استمارة تحليل المحتوى كالتالي:

1.3.6 الوحدات: وحدة الموضوع، وحدة الفكرة، وحدة الشخصية، وحدة المشهد.

2.3.6 الفئات: بالنسبة لفئات القياس (ماذا قيل؟ وكيف قيل؟) فكانت كالتالي:

- فئة الموضوع والقضايا الاجتماعية: ويقصد بها نوعية الموضوعات والقضايا التي يتحدث فيها الإقطاعي (الأرض، المال، المسؤولية...).

- فئة الحالة الاجتماعية: ويقصد بها هل الإقطاعي في الفيلم عينة الدراسة كان (أعزب، متزوج، أرمل...).

- فئة الوضعية الاجتماعية: ويقصد بها وضع الإقطاعي في الأسرة أو العائلة (زوج، أب، أخ، ابن، صديق...).

- فئة طبيعة السمات: والمقصود هنا كيف ظهر الإقطاعي في الفيلم عينة الدراسة، سمات إيجابية (متواضع، ذكي، واثقة من نفسه، عطوف، متسامح، هادئ...)، سمات سلبية (وقح، حزين، عنيف، قلق، قبيح، شرير، متردد...).

- فئة طبيعة القيم: ويقصد بهذه القيم التي قدمها الإقطاعي في الفيلم عينة الدراسة، قيم إيجابية (طاعة الوالدين، التضحية، الاحترام، الوفاء، الإخلاص، فعل الخير...)، قيم سلبية (الحقد، الانتقام، الكذب، الكره، النفاق، الأنانية...).

- فئة الأهداف الاجتماعية: ويقصد بها الأهداف التي سعى إليها الإقطاعي في الفيلم عينة الدراسة (اقتطاع الأراضي، الزواج بمن يحب، جمع المال، الانتقام، إرساء العدل...).

- فئة الأدوار الاجتماعية: ويقصد بهذه الفئة ما هي الأدوار الاجتماعية التي طغت على الإقطاعي في الفيلم عينة الدراسة (مؤثر ولكنه تابع، مشكوك فيه، قائد ومؤثر، مستقل بقراراته...).

- فئة أسلوب حل المشكلات: ويقصد بها أسلوب حل الإقطاعي للمشكلات في الفيلم عينة الدراسة (عاطفيا، عقليا، بالتوازن، غير قادر على حل المشكلات).

- فئة أبعاد الشخصية: ويقصد بهذه الفئة ما هي أبعاد شخصية الإقطاعي في الفيلم عينة الدراسة (سلبية، إيجابية، انفعالية، عقلية، غير واضح...).

- فئة نوعية الأسرة: ويقصد بهذه الفئة نوعية الأسرة التي يعيش فيها الإقطاعي في الفيلم عينة الدراسة (أسرة مفككة، أسرة مترابطة، غير واضح).

- فئة المستوى اللغوي: ويقصد بهذه الفئة مستوى لغة الإقطاعي في الفيلم عينة الدراسة (لهجة محلية، لغة عربية فصحى، لغة أجنبية).

- فئة المستوى التعليمي: ويقصد بهذه الفئة المستوى التعليمي للإقطاعي في الفيلم عينة الدراسة (أمي، منخفض، متوسط، عالي، غير واضح).

- فئة زاوية التصوير: والمقصود بها زوايا التصوير التي ظهر فيها الإقطاعي في الفيلم عينة الدراسة (في مستوى النظر، مرتفعة، منخفضة...).

- فئة أنواع اللقطات: يقصد بهذه الفئة أنواع اللقطات ظهر فيها الإقطاعي في الفيلم عينة الدراسة (قريبة، متوسطة، بعيدة).

- فئة الموسيقى المصاحبة: ويقصد بها نوعية الموسيقى المصاحبة لظهور الإقطاعي في المشاهد (حزينة، شريرة، متفائلة، عادية...).

4.6 مجالات الدراسة

- المجال الزمني: تم إجراء هذه الدراسة خلال ماي 2021.

- المجال التوثيقي (مادة التحليل): تم إجراء هذا البحث على السينما المصرية الكلاسيكية من خلال فيلم "الأرض" أنموذجا كعينة للدراسة.

- بطاقة فنية عن الفيلم: هو فيلم مصري درامي من إنتاج سنة 1970 من إخراج "يوسف شاهين"، عن رواية الكاتب المصري "عبد الرحمن الشرقاوي"، ويعتبر أحد أهم أفلام السينما المصرية، وفي احتفالية مئوية السينما المصرية عام 1996، تم تصنيفه في المركز الثاني ضمن أفضل 100 فيلم في

تاريخ السينما المصرية في استفتاء النقاد، وتدور أحداث الفيلم في إحدى القرى المصرية قرية "رمله الأنجب" عام 1933، حيث يفاجأ أهلها بقرار حكومي بتقليل نوبة الري إلى 5 أيام بدلا من 10 أيام، فيبلغ العمدة الفلاحين أن نوبة الري أصبحت مناصفة مع أراضي "محمود بيه" الإقطاعي، فيجتمع رجال القرية للتشاور ويتفقوا على تقديم عريضة للحكومة، لكن يستغل "محمود بيه" الموقف وتوقيعاتهم لينشأ طريق لسرايته من خلال أرضهم الزراعية، ولكن يثور الفلاحين -وعلى رأسهم "محمد أبو سويلم" دفاعا عن أرضهم ويلقوا الحديد في المياه، فترسل الحكومة قوات الهجانة لتسيطر على القرية بإعلان حظر التجوال، ويتم انتزاع الأراضي منهم بالقوة، ويتصدى "محمد أبو سويلم" لقوات الأمن وبتم سحله على الأرض وهو يحاول التشبث بالجذور، والفيلم بطولة كوكبة من نجوم السينما المصرية مثل: "محمود المليجي" و"عزت العلايلي" و"توفيق الدقن" و"صلاح السعدني".[10]

7. النظرية الموجهة للدراسة

استخدمت هذه الدراسة نظرية ترتيب الأولويات (الأجندة)، وتقوم هذه النظرية على الفرض الرئيسي الذي يشير إلى أن وسائل الإعلام على اختلاف أشكالها؛ السمعية والبصرية والمكتوبة وحتى الإلكترونية، هي التي تحدد سلم أولويات المواضيع والقضايا بالنسبة للجمهور، وبالتالي يمكن القول أن استخدام هذه النظرية في هذه البحث جاء لدراسة كيفية تحديد خصائص صورة الإقطاعي من خلال التصوير السينمائي لهذه الشخصية عبر وسيلة السينما، من خلال ما تقدمه هذه الأخيرة وتأثيرات إنتاجاتها المتراكمة، فالسينما بشكل عام والسينما المصرية الكلاسيكية بشكل خاص حاولت من خلال العديد من الأفلام السينمائية، تقديم الكثير من الصور الذهنية للإقطاعي والإقطاعيين في مصر في مراحل تاريخية معينة، وهذه الصور تؤثر بشكل مباشر في الطريقة التي يرى بها الجمهور شخصية الإقطاعي.

8. النظام الإقطاعي في مصر

بعد دخول مصر في حكم الباب العالي، أصدر السلطان "سليمان القانوني" المنظومة التشريعية المعروفة باسم "قانون نامة" عام 1525، والتي تضمنت أحكاما في تحديد حقوق الأراضي، وبمقتضاها طُلب من الفلاحين المصريين إثبات مُلكيّتهم لأراضيهم بحُجَجْ مكتوبة، وهو ما لم يكن معروفا عندهم آنذاك، وكان المتعارف عليه أنه من يشتغل في الأرض هو مالكها، فلم يقدروا على

الإثبات، وبالتالي اعتبرت الأراضي "أميريّة" وآلت ملكيّتها إلى السلطنة، ومباشرة قام والي مصر العثماني "سليمان باشا" بإيكال مهمة جمع الضرائب عن الأراضي الزراعية للأمراء المماليك، الذين كانوا حكّام البلاد قبل خضوعها للعثمانيين، وأصبح كل مملوك عبارة عن "مُلتزم"، وهو الذي يلتزم بدفع ضريبة محددة كل عام إلى الوالي العثماني، في مقابل أن يجمعها من الفلاحين ويجمع لنفسه فوقها زيادة خاصة به باسم "الفائدة"، وقد أُطلقت يد المُلتزم في التحكم بالأرض وأهلها، فصار له الحق في توزيع الأراضي وتقسيمها وسحب الحيازة من الفلاحين وإعادة توزيعها على من يشاء، وبسبب عزوف المماليك عن العيش في الأرياف، وتفضيلهم الاستقرار في المدن ومراكز الأقاليم، فإنّهم كانوا يوكلون وكلاء من أقوياء الفلاحين لجمع الضريبة والفائدة، وكان للوكيل أيضا حصّة لنفسه تضاف فوق الضريبة والفائدة، ومن هذه الفئة نشأت طبقة شيوخ البلد وأعيان الريف.[11] ويمكن توضيح الشكل العام لحيازة الأراضي في هذه الفترة فيم يلي:[12]

- أراضي القبالة: تم اللجوء لنظام القبالة بهدف الحصول على الضرائب بأقل قدر من الأعباء، حيث يقوم بعض الأثرياء يطلق عليهم "القبالون" باستئجار خراج القرى، ثم يقومون بتأجير الأراضي في مساحات صغيرة للفلاحين ويحصلون على الفرق ما بين الخراج وأجرة الأرض؛

- الإقطاعات الكبرى: وهي مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية يمنح حق الانتفاع بها للأمراء وكبار رجال الحاشية، بشرط دفع الضرائب العشورية عليها، وتعد هذه الأراضي محصلة للمساحات التي تم الاستلاء عليها من أراضي الضياع الكبيرة والمزارع الصغيرة التي فر أصحابها الرومان، بالإضافة للمساحات التي كانت تابعة للدولة البيزنطية، ثم منحت اقطاعات أخرى من الأراضي غير المزروعة – الموات-بغرض التشجيع على استصلاحها بإعفائها من الضرائب؛

- أراضي الكنائس: عندما دخل العرب مصر كان هناك نوعين من حيازة الكنائس للأراضي، يتمثل الأول في الأراضي التي تشتريها الكنائس وكانت عادة قرى بأكملها حيث تقوم الكنيسة بتأجير الأراضي للفلاحين، وكانت الضرائب تُفرض على هذا النوع من الأراضي، ويتمثل النوع الثاني في أراضي الهبات والتي كانت تمنحها الإمبراطورية للكنائس وكانت معفاة من الضرائب؛

- أراضي الامتلاك الخاص: وهي الأراضي التي ظل أصحابها قائمون عليها بعد دخول العرب، وقد فرضت عليها ضريبة الخراج فيما عدا الذين دخلوا الدين الجديد ففرضت عليهم ضريبة العشور.

وفي مرحلة لاحقة تدفق رأس المال الأجنبي على مصر في عهد "الخديوي إسماعيل"، وجاء في شكل استثمارات بالأساس وقروض للحكومة، وقد اتجهت الاستثمارات لإنشاء شركات في قطاعات مثل: السكر والقطن والغزل والنسيج والمياه، وتضاعف التدخل الأجنبي عبر القروض، إلى أن بلغ حجم الدّيْن المصري 91 مليون جنيه إسترليني في نهاية عهد الخديوي إسماعيل، ما استدعى تدخل الدائنين من أجل ضمان سداد ديونهم، خصوصا بعد تهديد مصالحهم من قبل "الثورة العُرابية"، فغزا الإنجليز مصر عام 1882، وبدأت سياسة بريطانيا بتحويل مصر إلى مستعمرة زراعية، ومباشرة عمل الإنجليز على إعادة تنظيم ملكية الأراضي، فأصدروا قانونا عام 1882 يقضي بإقرار الملكية الخاصة وإلغاء كل ما سبق من أشكال الملكية، ومع مطلع القرن العشرين تكاثرت الشركات الأجنبية بالأساس ومعها بعض المحلية، التي امتلكت آلاف الفدادين لتنفيذ مشروعاتها الاستثمارية، وهكذا بدأت تنمو تحت رعاية الاستعمار، طبقة من النخب الأجنبية والبرجوازية المصرية العليا؛ حيث مكّنتها الملكية الخاصة من تحقيق تراكم رأسمالي وفير، وعلى الجانب الآخر تحول الفلاحون المصريون إلى عُمال، وتحولوا من أصحاب ملكية أثرية إلى مجرد عاملين بأجر.[13]

9. قراءة وتحليل النتائج

عالج الفيلم عدة موضوعات اجتماعية مرتبطة بشكل كبير بالرجل الإقطاعي على رأسها السكة الزراعية التي أرادها أن تشق الأرض الفلاحية للفلاحين في القرية بنسبة 33.33%، وهو ما يؤكد جشع وطمع الرجل الإقطاعي "محمود بيه" في عملية الاستحواذ على الأراضي وتحقيق أهدافه في جمع الأموال ولو على حساب الفلاحين و"الغلابة"، فيم توزعت باقي المواضيع والقضايا الاجتماعية بين الأرض وسقايتها، وجمع الأموال، والعريضة الشعبية، وأحوال الناس بنسب متساوية 16.66% لكل منهم، مما يعني أن الموضوع الأول والرئيسي (السكة الزراعية) قد ألقى بضلاله على باقي المواضيع، حيث أثر مشروع السكة الزراعية على الفلاحين واعتبروه استغلالا لهم واقتصاصا لحقهم في الأرض وزراعتها، ما شجعهم على كتابة عريضة شعبية للمطالبة بتزويد مدة السقاية، وهو ما جعل موضوع الأرض وسقايتها مهم بشكل معتبر خاصة بعد التقليل من مدة السقاية (من 10 أيام إلى 5 أيام)، حيث حاول "محمود بيه" استغلال هذا الأمر في التسويق لمشروع السكة الزراعية والفوائد التي سيجنيها الفلاحون وأهل القرية من هذا المشروع، وبالتالي نرى أن القضايا والموضوعات الاجتماعية المربطة

بالرجل الإقطاعي في هذا الفيلم، كانت كلها متعلقة بالأساس بالعمل الإقطاعي الذي يتمثل أساسا في اقتطاع الأراضي وتسخير الفلاحين في خدمته في مختلف مشاريعه.

أظهرت نتائج الدراسة التحليلية أن فيلم "الأرض" أظهر شخصية الرجل الإقطاعي غير واضحة الحالة الاجتماعية (أعزب، متزوج، منفصل، أرمل) بشكل كامل، وهو ما يدل على عدم الاهتمام بإظهار طبيعة الحالة الاجتماعية لـ"محمود بيه"، وهو ما ساهم في نقل صورة سلبية له، من حيث أنها شخصية غير جديرة بإظهار حالتها الاجتماعية، وطبيعة تعاملاتها وفق طبيعة تلك الحالة، فعدم وضوح هذه الأخيرة تظهر وكأن شخصية الرجل الإقطاعي شخصية غير مهمة ومنبوذة ولا تهتم بالعلاقات الإنسانية، وهذا ما أكدته نتائج دراسة الوضعية الاجتماعية في الفيلم عينة الدراسة (زوج، أب، أخ، ابن...)، حيث أنه لم يظهر بتاتا وضعيته الاجتماعية، وهو ما ساهم في بناء صورة سلبية للإقطاعي.

بينت نتائج الدراسة التحليلية أن أكثر السمات الإيجابية للإقطاعي في الفيلم، في كونه هادئ وواثق من نفسه بنسبة 26.31% لكل منهما، وهو ما لاحظناه في خلال تعاملات "محمود بيه" مع الفلاحين أو العمدة، ثم جاءت سمة الذكاء والصبر بنسبة 21.05% لكل منهما، وهو ما يلاحظ في عدة مواقف أهمها ذكاء "محمود بيه" في تسليم "أحمد أفندي" قصاصة بها رقم هاتف خاطئ في محطة القطارات في رحلة تسليم العريضة الشعبية، إيهاما للفلاحين بأنه حازم وصارم وصادق في عملية تسليم العريضة، وأنه حتى في حالة توهان "أحمد افندي" عنه فيمكنه التواصل معه عن طريق رقم الهاتف ذاك، فيم ظهر الصبر في مواقف عدة أهمها صبر "محمود بيه" على انتقادات أهل القرية فيم يخص مشروع السكة الزراعية، لأنه يعلم في الأخير أنهم سيرضخون له، فيم ظهر "محمود بيه" سعيدا بنسبة 05.26% خاصة مع بداية الأشغال في مشروع السكة الزراعية وبداية تحقق حلمه، فيم ظهر "محمود بيه" بسمات أخرى سلبية في مقدمتها الاستغلال والمكر والخداع بنسبة 44.44% لكل منهما، حيث ظهر "محمود بيه" استغلاليا من خلال استغلال "أحمد أفندي" باعتباره الرجل المتعلم في القرية في محاولة إقناع الفلاحين بجدوى مشروع السكة الزراعية، إلى جانب محاولة رشوة "الشيخ حسونة" كأحد أعيان القرية، بأن أرضه الزراعية سوف لن تكون مشمولة ضمن مشروع السكة الزراعية، فيم كان "محمود بيه" ماكرا ومخادعا في عدة مواقف أهمها موقف القصاصة الورقية التي بها رقم الهاتف كما ذكرنا سابقا، إلى جانب محاولة خداع أهل القرية بأن السكة الزراعية ستجلب لهم المياه والكهرباء وكل مظاهر التمدن، كما ظهر "محمود بيه" عنيفا بنسبة 11.11% (عنف لفظي) عندما كان

ينعت أحد العمال في سراياه الخاصة بلفظ "يا حمار"، ومن خلال الموازنة بين السمات الإيجابية والسلبية، يظهر ميل الفيلم إلى إظهار الرجل الإقطاعي سلبي السمات أكثر مقارنة بالسمات الإيجابية حتى ولو ظهرت هذه الأخيرة بشكل أكبر لكن بهدف وغاية سلبية، وهذا قد يعود إلى الصورة الذهنية والنمطية التي تكونت عن الشخصية الإقطاعية في تاريخ مصر الحديث، ومحاولة عكس تلك السمات السلبية في السينما المصرية من خلال الفيلم عينة الدراسة.

أظهرت النتائج ضعف كبير جدا في القيم الإيجابية قليلة للإقطاعي في الفيلم عينة التحليل، فنجد قيمة إيجابية واحدة فقط تمثلت في قيمة الاحترام، وحتى هذه الأخيرة استخدمت من قبل "محمود بيه" مع شخصيتين فقط هما "أحمد أفندي" (بوصفه شخص متعلم) و"الشيخ حسونة" (بوصفه عين من الأعيان)، لمحاولة ضمهما لجانبه واستغلالهما في عملية إقناع أهل القرية وفلاحيها بجدوى مشروع السكة الزراعية، وهذا يعطي صورة سلبية جدا للرجل الإقطاعي التي أكدتها القيم السلبية الكثيرة له وأهمها الأنانية بنسبة 57.14%، والتي ظهرت بشكل أساسي في التأكيد على مشروع السكة الزراعية رغم عدم جدواه على أهل القرية، ومحاولة استغلال العريضة الشعبية في تضمين أحد بنودها إقامة السكة الزراعية، وأخيرا ظهرت أنانية "محمود بيه" في الإصرار على مرور السكة الزراعية بجانب سراياه الخاصة تماما، فيم ظهر "محمود بيه" كاذبا بنسبة 42.85% وظهر ذلك في عدة مواقف أهمها أنه سيقابل رئيس الوزراء بشأن العريضة الشعبية، وأنه سيحاول إقناعه بمحتواها وخاصة في موضوع تمديد فترة سقاية الأرض.

بينت نتائج الدراسة التحليلية ضعف تنوع الأهداف الاجتماعية للرجل الإقطاعي في الفيلم عينة الدراسة إلى جانب ميلها للجانب السلبي، فقد اقتصرت الأهداف الاجتماعية لـ"محمود بيه" بين اقتطاع الأراضي وجمع المال، والتي ستتحقق بإقامة مشروع السكة الزراعية ولو على حساب الفلاحين وأهل القرية، وهو ما ساهم في تشكيل صورة سلبية للغاية عن الرجل الإقطاعي في السينما المصرية.

أظهرت النتائج ظهور عدة أدوار اجتماعية للرجل الإقطاعي في هذا الفيلم، فقد ظهر "محمود بيه" مستقلا بقراراته بنسبة 50% حيث لم يكن يضع اعتبارا لأي من أهل القرية (العمدة، الأعيان، الفلاحين...) في أي قرار اتخذه بشأن القرية وأهلها، وظهر "محمود بيه" بدرجة أقل قائدا ومؤثرا بنسبة 33.33%، من خلال مشاهد تأثيره في "أحمد افندي" و"الشيخ حسونة" وحتى "السيخ يوسف" الذي أثر فيه "محمود بيه" وأقنعه بجدوى السكة الزراعية من خلال منحه مشروع دكان صغير، وبدرجة أقل

ظهر "محمود بيه" شخصية مشكوك فيها بنسبة 16.66% من أهل القرية، وخاصة من طرف الفلاحين وعلى رأسهم "أبو سويلم" و"عبد الهادي" الذي لم يقتنعوا بمشروع "محمود بيه"، وإدراكهم أنه يستغلهم من أجل تحقيق أهدافه.

بينت الدراسة التحليلية قدرة الرجل الإقطاعي في الفيلم عينة التحليل على حل المشكلات بشكل كامل، وهذا ما يؤكد النتائج السابقة فيم يتعلق باستقلاليته في اتخاذ قراراته واستخدام ذكائه في تسيير مصالحه، حيث حل "محمود بيه" جميع مشكلاته بشكل متوازن بين الجانب العاطفي والعقلي، سواء فيم تعلق بإخماد ثورة الفلاحين ضده (الجانب العقلي) وتأكيده على أنه هو شخصيا من سيرفع مطالبهم في شكل عريضة شعبية، أو فيم تعلق بإقناع أهل القرية بجدوى السكة الزراعية من خلال ربط القرية بالكهرباء والماء وباقي المتطلبات (الجانب العاطفي)، وهو ما انعكس بشكل مباشر على أبعاد شخصية "محمود بيه" التي تميزت بالبعد الإيجابي والعقلي، من خلال التعامل المحترم مع أعيان القرية ومتعلميها ومحاولة استغلالهم بهدف تحقيق أهدافه.

قدم الفيلم عينة الدراسة أسرة الرجل الإقطاعي غير واضحة المعالم (مترابطة أو مفككة)، فلم يظهر أي مشهد يظهر تعامل شخصية "محمود بيه" مع أسرته، وهل هو مؤثر فيها أم مؤثرة فيه، وهذا ما يؤكد النتائج السابقة والتي تتعلق بغموض الحالة والوضعية الاجتماعية للرجل الإقطاعي، وهو ما يؤسس لصورة سلبية حول انتمائه لأسرة أو لعائلة وطريقة تعامله معهم، ويظهر وكأنه دون عائلة أو أسرة (اللاانتماء).

غلب على الرجل الإقطاعي في هذه الدراسة استعماله للهجة المصرية بنسبة 95%، في مقابل 5% للغة العربية (كانت محصورة في بعض عبارات العريضة الشعبية)، وهذا يعود بالأساس إلى أن هذا الفيلم موجه للمجتمع المصري، وبالتالي فالمستوى اللغوي المطروح في الفيلم بشكل عام ولدى الرجل الإقطاعي بشكل خاص، يعبر تماما عن المستوى اللغوي للمجتمع المصري.

تم تصوير الرجل الإقطاعي في الفيلم عينة التحليل بزاوية تصوير في مستوى النظر في كثير من مشاهد الفيلم بنسبة 60%، وهذه الزاوية معروفة بدقة وصفها للقطات والمشاهد في الأعمال السينمائية، وتقدم الأجزاء المصورة على طبيعتها، فيم تضعف فيها الوظيفة التعبيرية والإيحائية والتفسيرية، على عكس الزاوية المرتفعة والتي ظهرت في مشهد حوار "محمود بيه" مع "الشيخ حسونة" لتوضيح مدى تكبره وتسلطه، والزاوية المنخفضة التي ظهرت في مشهد مناداة "محمود بيه" على

"العمدة" من أعلى سراياه الخاصة لجلب كلبه له، لتوضيح مدى احتقار "محمود بيه" لأهل القرية في صورة عمدتها.

ظهر الرجل الإقطاعي في هذا الفيلم في عدة لقطات تصويرية أهمها اللقطة البعيدة بنسبة 54.54%، والتي استخدمت في أغلبها إما كلقطة تأسيسية لمشاهد "محمود بيه" في حواراته مع بعض شخصيات القرية على غرار "العمدة" و"أحمد أفندي" و"الشيخ حسونة"، أو لإظهار مكانة "محمود بيه" في المشهد ومدى تأثيره فيه، فيما استخدمت اللقطة المتوسطة بنسبة 36.36% والتي استخدمت في الغالب للتركيز على شخصية "محمود بيه" في الفيلم وعلاقتها بمحيطها، كما يمكن استخدام هذه اللقطة حسب كثير من المراجع والمصادر كلقطة انتقالية بين اللقطة القريبة والبعيدة وهو ما ظهر بالفعل في هذا الفيلم، فيم ظهر "محمود بيه" في لقطات قريبة بنسبة 09.09% والتي استخدمت في إظهار مشاعر الاحتقار والتذمر والتكبر على أهل القرية.

بينت الدراسة التحليلية تنوع الموسيقى المصاحبة لمشاهد الرجل الإقطاعي في الفيلم، حيث ظهرت الموسيقى التي تنم على الحزن بنسبة 28.57%، وكان ذلك في عدة مشاهد أهمها إذلال واحتقار "محمود بيه" لأهل القرية، ومحاولة استغلال طيبتهم وسجيتهم في تحقيق مصالحه الخاصة، ثم بدرجة أقل ظهرت الموسيقى الفرحة والمتفائلة بنسبة 14.28%، وظهر ذلك في مشاهد البدء في تنفيذ مشروع السكة الزراعية وفرحة وتفاؤل "محمود بيه" بتحقيق حلمه، فيما ظهرت مشاهد "محمود بيه" دون موسيقى بنسبة 57.14%، وكان ذلك ملاحظ بشكل كبير في الحوارات مع بعض أهل القرية.

- خاتمة

بشكل عام ظهرت صورة الرجل الإقطاعي بشكل سلبي إلى حد كبير في السينما المصرية الكلاسيكية من خلال فيلم "الأرض" للمخرج "يوسف شاهين"، حيث تعرض الفيلم لعديد الموضوعات التي تقع ضمن طبيعة العلاقة بين الإقطاعي والفلاحين بشكل عام، كما سوق الفيلم لشخصية الإقطاعي بكثير من الأدوار الإيجابية (استقلال القرار والقيادة والتأثير) والسمات الإيجابية (الهدوء والثقة بالنفس)، والتي استخدمت كلاهما لأغراض سلبية (سلب واقتطاع الأراضي)، مع دعم ذلك بالعديد من القيم السلبية (الأنانية والكذب) التي ارتبطت عموما بشخصية قادرة على حل مشكلاتها بشكل متوازن، وهو ساهم بشكل عام في تبيان مدى شجاعة وطمع الإقطاعيين في علاقتهم مع

الفلاحين و"الغلابة" من أهل القرى ومدى تعلقهم بالأرض، وهو ما أكده المشهد الأخير من الفيلم (سحل "أبو سويلم" وتمسكه بجذور المحصول الزراعي).

وفي ضوء النتائج السابقة يوصي الباحث بضرورة إجراء المزيد من البحوث والدراسات أولا حول استخدام أداة تحليل المحتوى كأداة لتحليل شكل ومضمون الأفلام السينمائية العربية والأجنبية على حد سواء، وثانيا حول التوظيف السينمائي للصور الذهنية والنمطية للأشخاص أو الأعراق أو الشعوب أو الأمم...، ومحاولة الكشف عن أوجه التهوين أو التهويل في تناول تلك الصورة سينمائيا، والخروج بمجموعة من المخرجات تساعد المهنيين في قطاع السينما على تحسين تلك الصورة بما يناسب قيم وعادات المجتمعات.

12. الإحالة والتهميش

[1] معجم المعاني الإلكتروني، استخرج في 2021/04/23، على الرابط https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/إقطاعي/

[2] موقع معرفة، استخرج في 20121/04/23، على الرابط https://www.marefa.org/إقطاعية

[3] شيماء عمارة، صورة المرأة الجزائرية في الدراما التلفزيونية دراسة تحليلية لحلقات من المسلسل الجزائري "معاناة امرأة"، مذكرة ماستر، قسم علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2018/2017، ص11.

[4] محمد عبد البديع السيد، دور الدراما في تكوين الصورة الذهنية للمتدين لدى الشباب المصري دراسة تحليلية، مجلة كلية الإعلام وتكنولوجيا الاتصال، العدد الأول، جامعة جنوب الوادي، مصر، 2017.

[5] عزة كامل ونولة درويش، أشكال تنميط صور النساء والرجال في الدراما التليفزيونية المقدمة خلل شهر رمضان 1424هـ (2003)، مركز نظم ووسائل الاتصالات التقنية من أجل التنمية (أكت) ومؤسسة المرأة الجديدة وميديا هاوس، القاهرة، 2003.

[6] بشرى مداسي، مناهج وتقنيات البحث العلمي، كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، نشر في 2020/04/01، استخرج في 2021/09/09، على الرابط https://fsic.univ-alger3.dz/wp-content/uploads/2020/04/المقياس-مناهج-14-15-16.pdf

[7] مهدي محمد جواد محمد ابو عال، مجتمع البحث وعينته، قسم العلوم، كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العراق، نشر في 2018/10/23، استخرج في 2021/09/09، على الرابط http://www.uobabylon.edu.iq/uobcoleges/lecture.aspx?fid=11&lcid=78857

[8] المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، عينة البحث العلمي، نشر في 2020/08/17، استخرج في 2021/09/09، على الرابط https://ajsrp.com/عينة-البحث-العلمي.html

[9] أم الخير شتاتحة، تحليل المحتوى كمنهج أم كتقنية مع نماذج عملية، مجلة العلوم القانونية والاجتماعية، المجلد الثالث، العدد الرابع، جامعة زيان عاشور الجلفة، 2018، ص90-91.

[10] الموسوعة الحرة ويكيبديا، فيلم الأرض، استخرج في 2021/04/23، على الرابط https://ar.wikipedia.org/wiki/الأرض_(فيلم)

[11] خالد بشير، ما أبرز تحوّلات مُلكيّة الأرض في مصر قبل ثورة يوليو؟ موقع حفريات، نشر في 2019/06/30، استخرج في 2021/04/23، على الرابط https://hafryat.com/ar/blog/ما-أبرز-تحوّلات-مُلكيّة-الأرض-في-مصر-قبل-ثورة-يوليو؟

[12] محمد مدحت مصطفى، تطور حيازة الأراضي في مصر - حيازة الأراضي تحت الحكم العربي، مركز الدراسات والأبحاث العلمانية في العالم العربي، نشر في 2017/04/21، استخرج في 2021/04/23، على الرابط https://www.ssrcaw.org/ar/print.art.asp?aid=555634&ac=2

[13] خالد بشير، مرجع سابق.

13. قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المقالات:

- السيد، محمد عبد البديع، (2017)، دور الدراما في تكوين الصورة الذهنية للمتدين لدى الشباب المصري دراسة تحليلية، مجلة كلية الإعلام وتكنولوجيا الاتصال، العدد الأول، جامعة جنوب الوادي، مصر، ص ص01–64.
- شتاتحة، أم الخير، (2018)، تحليل المحتوى كمنهج أم كتقنية مع نماذج عملية، مجلة العلوم القانونية والاجتماعية، المجلد الثالث، العدد الرابع، جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر، ص ص89–114.

ثانيا: الأطروحات:

- عمارة، شيماء، (2018/2017)، صورة المرأة الجزائرية في الدراما التلفزيونية دراسة تحليلية لحلقات من المسلسل الجزائري "معاناة امرأة"، مذكرة *ماستر*، قسم علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر.

ثالثا: الدراسات:

- كامل ودرويش، عزة ونولة (2003)، أشكال تنميط صور النساء والرجال في الدراما التليفزيونية المقدمة خلل شهر رمضان 1424ه (2003)، مركز نظم ووسائل الاتصالات التقنية من أجل التنمية (أكت) ومؤسسة المرأة الجديدة وميديا هاوس، القاهرة، مصر.

رابعا: مواقع الشبكية:

- معجم المعاني الإلكتروني، استخرج في 2021/04/23، على الرابط https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/إقطاعي/
- موقع معرفة، استخرج في 20121/04/23، على الرابط https://www.marefa.org/إقطاعية
- بشرى مداسي، مناهج وتقنيات البحث العلمي، كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، نشر في 2020/04/01، استخرج في 2021/09/09، على الرابط https://fsic.univ-alger3.dz/wp-content/uploads/2020/04/المقياس-مناهج-14-15-16.pdf
- مهدي محمد جواد محمد ابو عال، مجتمع البحث وعينته، قسم العلوم، كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العراق، نشر في 2018/10/23، استخرج في 2021/09/09، على الرابط http://www.uobabylon.edu.iq/uobcoleges/lecture.aspx?fid=11&lcid=78857
- المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، عينة البحث العلمي، نشر في 2020/08/17، استخرج في 2021/09/09، على الرابط https://ajsrp.com/عينة-البحث-العلمي.html
- الموسوعة الحرة ويكيبديا، فيلم الأرض، استخرج في 2021/04/23، على الرابط https://ar.wikipedia.org/wiki/الأرض (فيلم)
- خالد بشير، ما أبرز تحوّلات مُلكيّة الأرض في مصر قبل ثورة يوليو؟ موقع حفريات، نشر في 2019/06/30، استخرج في 2021/04/23، على الرابط https://hafryat.com/ar/blog/ما-أبرز-تحوّلات-مُلكيّة-الأرض-في-مصر-قبل-ثورة-يوليو؟
- محمد مدحت مصطفى، تطور حيازة الأراضي في مصر – حيازة الأراضي تحت الحكم العربي، مركز الدراسات والأبحاث العلمانية في العالم العربي، نشر في 2017/04/21، استخرج في 2021/04/23، على الرابط https://www.ssrcaw.org/ar/print.art.asp?aid=555634&ac=2